



كشف تقرير نشره موقع مجلة "فورين بوليسي" أن ميليشيات حزب الله المدعومة من إيران تعاني من تزايد عدد القتلى في معاركها مع الثوار في سوريا، فيما ينزلق وكيل طهران إلى مستنقع محتمل أكثر عمقاً من أي وقت مضى.

ومع تحمل حزب الله، وعلى نحو متزايد، عباءة الحرب باليابسة عن نظام بشار الأسد، تواجه الميليشيات اللبنانية خطر المبالغة في تقدير قدراتها والإفراط في تصوير نفسها كقوة قتال لا تقهير، وفقاً لمسؤولين عرب وأمريكيين.

وتقود وحدات حزب الله الآن القتال ضد كتائب الثوار، في حين يكتفي جيش الأسد المتعثر بدور المساند. ورغم أنه لا يُعرف على وجه الدقة حجم ميليشياته في سوريا، فإن المسؤولين والمحللين الغربيين يعتقدون أن لديه ما يقرب من 6000 إلى 8000 مقاتل على الأرض هناك.

ويرفض الحزب أيضاً مناقشة خسائره في سوريا، ولكن الأرقام كبيرة وفي ارتفاع مستمر. إذ منذ بداية تورط حزب الله في القتال دعماً للأسد في سوريا في عام 2013، تشير تقديرات مسؤولين ومحللين إلى أن ما يقرب من 700 إلى 1000 مقاتل قتلوا أو جرحوا في المعركة، وهي خسارة كبيرة بالنسبة لحزب الله.

وقد تقرب حصيلة قتلى ميليشياته في سوريا من مجموع خسائره في حربه ضد إسرائيل في جنوب لبنان خلال الفترة الممتدة من 1985 إلى 2000، والتي قدرت بحوالي 1248 قتيلاً وما لا يقل عن ألف جريح.

"ليس هناك شك في أن الصراع السوري يؤثر سلباً في حزب الله"، كما نقل التقرير عن مسؤول استخباراتي، مردداً تقويم العديد من المسؤولين في المنطقة.

ويمكن لطهران الحصول على المزيد من الأموال والأسلحة لتنقلها قريباً إلى ميليشيات حزب الله، ذلك أن القوى العالمية وإيران يقرّبون من الإعلان عن اتفاق بشأن البرنامج النووي المثير للجدل، وهو ما قد يرفع عنها العقوبات الاقتصادية، بما يمكنها من ضخ المزيد من الأموال للقتال في سوريا، وفقاً لمحللين.

كما تُمكّن أيضًا الصفقة النووية، حال الاتفاق عليها، إيران من القدرة على الاستثمار في ضخ حوالي 6 مليارات دولار ترسلها سنويًا للأسد، أو ربما زيادة القيمة.

في الوقت الراهن، أصبحت جنائزات قتلى قوات حزب الله في سوريا مألوفة، وتنشر الصحف المحلية أحياناً أخبار موتى الحرب.

ومع أن حصيلة قتلاه لا تمثل الضربة القاضية بالنسبة للميليشيات، ولكنها تشير إلى ارتفاع تكاليف الحرب المفتوحة لهذا النظام الذي بدأ يفقد تدريجياً الأرض.

وفي هذا السياق، ينقل التقرير عن مسؤول في الاستخبارات الأمريكية، قوله: "إذا أخذنا بعين الاعتبار نكسات الأسد، فإنه لن يكون من المستغرب إذا كان يعول على مزيد تورط حزب الله في الحرب، وخصوصاً باتجاه وقف مكاسب المعارضة قرب موقع أو مناطق رئيسة".

وإذا كان تورطه في البداية قد تركز على الشرط الحدودي السوري مع لبنان، فإن وحدات حزب الله تقاتل الآن على مساحة واسعة، بما في ذلك في الشمال الغربي في إدلب وحلب، وجنوباً في درعا، وحتى في المناطق الوسطى والشرقية.

وإذا كانت نتائج معارك القلمون القريبة من الحدود متضاربة، فإن جبهة النصرة وكتائب الثوار الأخرى قد تمكنا من صد الهجمات التي يقودها حزب الله في إدلب، درعاً وبالقرب من حلب، وفقاً لناشطين معارضين ومحليين.

ونقل التقرير عن "سيث جونز"، وهو مستشار سابق للجيش الأمريكي ويعمل الآن مع مؤسسة راند للأبحاث، قوله: "فقد النظام وكلاؤه، بما في ذلك حزب الله، الأرض في المناطق الرئيسية وتکبدوا خسائر فادحة جداً".

ومع عدم وجود نهاية في الأفق وتعرض نظام الأسد للهجوم على جبهات متعددة، فإن الصراع السوري يشكل معضلة بالنسبة لحزب الله ورعاته الإيرانيين في محاولاتهم نشر نفوذهم في منطقة الشرق الأوسط.

بالنسبة لحزب الله، فإن سوريا وفرت له من فترة طويلة ممراً لشحنات الأسلحة من إيران وشكلت منطقة عازلة. ولكن على الميليشيات الشيعية تحقيق التوازن بين الحاجة إلى منع سيطرة السنة على الحكم في سوريا والاحتفاظ بقوات جاهزة للقتال في جنوب لبنان.

في حين تراهن القيادة الإيرانية على إمكانية أن تخرج منتصرة من حرب طاحنة في سوريا مع الحفاظ على مساعدات عسكرية واسعة النطاق للميليشيات الشيعية في العراق ودعم المجموعات الأخرى، بما في ذلك المتمردين الحوثيين في اليمن.

وفي هذا، نقل التقرير عن أحد المحللين قوله: "أعتقد أن الخوف من فشل المهمة هو مصدر قلق لحزب الله". وأضاف: "حاولت الميليشيات تحقيق أهدافها العسكرية بطريقة مدرورة في سوريا، على أمل تجنب خسائر لا داعي لها على أرض المعركة، ولكنهم أدركوا أنه لا يمكنهم أن يمضوا بكمال طاقتهم في هذا الخط وحرق أنفسهم".

وقد تركزت ميليشيات الحزب قوتها القتالية في هذا الشهر حول الزيداني، البوابة المؤدية لمعقلها في جنوب لبنان، وذلك جزئياً للتحوط حال سقوط الأسد، وفقاً لبروس ريدل، وهو ضابط سابق في وكالة المخابرات المركزية من الذين خدموا في منطقة الشرق الأوسط.

وقال التقرير إن فقدان هذه المدينة الحدودية، الزيداني، سيكون نكسة كبرى للميليشيات، حيث تقع المدينة على طول الطرق

البرية الحيوية التي تربط بين الأراضي التي يسيطر عليها حزب الله مع سوريا. في السابق، استُخدمت الزبداني كمركز لوجستي لنقل الأسلحة الإيرانية إلى الميليشيات.

وهنا نقل التقرير عن أحد المحالين قوله: تواجه طهران خيارا حاسما.. إما الاستمرار في استخدام حزب الله لحماية الأسد على الرغم من الخسائر الفادحة أو قطع العلاقات مع حليفها الأكثر أهمية في العالم العربي للحفاظ على نفوذ الميليشيات في لبنان وضمان استخدامها مستقبلا.

المصادر: